رؤيا سمعان الشيخ

رواية الاعياد الميلادية من آثار المرحوم الاب لويس شيخو اليسوعي

في اواخر شهر آذار من السنة ٧٤٩ لرومية في منتصف الليل اذ كان ادديم السماء صافياً والبدر طالعاً والنسيم عليلاً كنت ترى في وسط هيكل اورشليم في صحنه المختصّ بالكهنة واللاويين بازاء ستر قدس الاقداس الذي لا ينفذ وراءهُ الّا مرّة في السنة كبير الاحبار لتقدمة البخور والسجود لاله اسرائيل كاهناً وقوراً ذا هيبة وجلال قد حنت ظهرهُ أعباء الايام جاثياً خاشعاً ترسل مصابيح الهيكل الليليّة اشعّتها الضعيفة على وجههِ فتنيرهُ وترين شيبهُ المهيب . وكان الكاهن المذكور يُعرف باسم سمعان الشيخ

فلو اقتربت منهُ لسمعت الزفرات تتصاعد من صدرهِ ورأيت الدموع تتحدر على وجنتيهِ وهو يفيض نفسهُ امام الاله الرهيب الجالس فوق الكروبيم فيقول :

الى متى يارب وحتى متى تتغاضى عن شعبك اسرائيل وتصمّ اذنيك على دعاء مختاريك . فاين مواعيدك يا ربّ الى انبيائك ؟ اين نسل داود عبدك الذي اقسمت انهُ سيأتي ويخلص شعبك ويجلس على كرسيّ ابيهِ الى الابد ؟ .

اوحيتَ الى يعقوب قبل وفاتهِ بانّ الصولجان لا يسقط من ايدي بنيهِ الى أن يأتي المسيح الملك الذي بهِ يتبارك جميع الشعوب وها قد صار الصولجان الى يدي هيرودس الآدوميّ الاجنبيّ

اوحيتَ الى كليمك موسى النبيّ انهُ سيقوم من بين امّتهِ من كان مثلهُ اماماً ومشترعاً وان لهُ يجب الاصغاء والطاعة . افترى عبثاً بشّر بهِ عبدك الكريم ؟

قام نبيك حجّاي وزخريّا وعزرا شيوخ اسرائيل بعد خراب هيكل سليمان

ذي المحاسن الفريدة وتشييد هذا الهيكل الحالي الذي رأوهُ دونهُ عظمةً وجمالًا فاوحيت اليهم ان لهذا الهيكل مجدًا سيفوق على مجد الهيكل الاوّل لانَّ فيهِ سيدخل المسيح الملك ولا يزال هذا الهيكل ممتهنًا قد نصب هيرودس فوقهُ النسر الروماني ورجس الامم افهذا هو المجد الذي وعدتَ بهِ ؟

تبعهما ملاخي نبيُّك واعلن عن لسانك انَّك لم تعد ترضى بذبائح شعبك الدنسة وانَّك ستقيم بين الامم باجمعها قربانًا طاهرًا يقدَّم لاسمك في كلّ انحاء المعمور وها هي ذه تلك الذبائح البهيميَّة لا تزال تُنحر امامك دون ان تُقدَّس بحسن سلوك مقدّميها . فمتى نشاهد ذاك القربان الذي تجعل فيهِ رضاك ؟

ارسلت ملاكك جبرائيل الى عبدك دانيال وأطلعتهُ على قرب تتمَّة مواعيدك وعيَّنت زمن نهاية أسرنا وبلائنا بمجيء المسيح بعد سبعين اسبوعًا من السنين . وها قد بلغنا الى تمامها ولم نشم بارقةً لتحقيق آمالنا

وانا عبدك الحقير الذي قضيتُ في هذا الهيكل نيفًا وسبعين سنة اقوم بخدمتهِ بما امكنني من النيرة والامانة فيا قد تثاقل على كاهلي عبء السنين فأراني قريبًا من الانضمام الى اجدادي . وكان اقصى شوقي ان اعاين قبل وفاتي المسيح الربَّ كما وعدني بهِ الروح القدس منذ عهد مديد . أفتُرى قد خُدعتُ باضغاث الاحلام او خُدعتُ بوعد باطل ؟

قال هذا وانكبَّ على الحضيض أسيفًا كئيبًا تتنازعهُ الافكار وتخامرهُ الهواجس الى ان غلب عليهِ النعاس فرقد على الحضيض . واذا بملاك ذي بهاء سماويّ قد تراءى لهُ في حلمهِ قائلًا : سمعان يا قليل الايمان أفتشكّ بوعود الله او ترتاب بما اوحى اليك الروح القدس . هاءنذا الملاك جبرائيل قد ارسلني الله في هذا الصباح الى العذراء التي تنبأ عنها اشعيا القائل : «ها انَّ عذراء ستحبل وتلد ابنًا يُدعى عمّانويل اي الله معنا» . قال جبرائيل هذا ورسم امام سمعان صورة تلك العذراء . فرآها وانخلب عقلهُ بجمالها الالهي وكان اسمها مكتوبًا فوق هامتها « مريم ابنة داود عذراء اسرائيل »

فانتبه سمعان من منامهِ وقلبهُ مفعم فرحًا وسرورًا وصورة الرؤيا منطبعة

في قلبهِ فأحيا بتيَّة ليله شكرًا وابتهالًا . وودَّ لو يتاح لهُ معرفة تلك العذراء ليهنئها ويقدّم لها ما استطاع من الخدم

* * *

مرَّ على سمعان ثلثة أيام وهو يفكّر في تلك الرؤيا ويبحث عن سرّ تلك العذراء المختارة وسكناها لعلّه يهتدي غليه ويتحقّق صحّة رؤياه . لكنَّهُ لم يحظَ بمرغوبهِ ولم يجد من يكشف غمَّتهُ

وكان لسمعان صديق حميم بين كهنة الهيكل يشبههُ تقى وصلاحاً يُدعى زكريَّا . فهذا الرجل البارّ كان حدث لهُ امر غريب فانَّهُ اذ كان يصلّي يوماً في الشعب ويقيم في الهيكل الرتب المفروضة من تبخير وادعية بموجب نوبتهِ لحظوا انَّهُ أطال في صلاتهِ كثيرًا ولمَّا خرج وجدوا لسانهُ معقودًا لا يقوهُ ببنت شفة وانَّما ادركوا من حركاتهِ انهُ تراءت لهُ رؤيا . فتوارى من بين الشعب واعتزل في بيتهِ الواقع في قرية تُدعى عين كارم على مسافة ستَّة فراسخ من اورشليم وذلك منذ ستَّة اشهر

فاحبَّ سمعان ان يخرج اليهِ ويستخبرهُ عن احوالهِ فقطع بثلاث ساعات الطريق المؤدّية الى عين كارم ودخل بيت زكريَّا وكان موقعهُ على متعطف جبل يطلّ على وادٍ خصبٍ تكسو جوانبهُ الكروم والبيت حسن البناء واسع الارجاء يتألّف من ديوان ذي اثاثٍ فاخر وفي جهتَيهِ غُرَف لكل حاجات البيت ولاستقبال الضيوف

كانت ربَّة البيت-اليصابات مهتمَّة بشغلها تطرّز ثياباً لولد تنتظرهُ بعد عقرها واثقةً بوعد الربّ . فلمَّا ابصرت سمعان الشيخ خرجت من ساعتها واستقبلتهُ بكل ترحاب وبعد السلام والقيام بكل واجبات الضيافة قادتهُ الى غرفة زوجها زكريَّا وهو لا يزال في حالتهِ اصمّ اخرس . فوجدهُ جالساً وامامهُ سفر من الكتاب المقدَّس بالعبرانيَّة على رقّ فلمَّا رأى سمعان قام وتحفَّى بهِ صامتاً وقبلهُ بكل حنان مشعرًا لهُ بحركاتهِ كم هو شاكر لصديقهِ الشيخ اذ افتكر بهِ وزارهُ في داره ثمَّ اشار اليهِ ليقرأ آيةً من الكتاب كان مهتمًّا فيها

فاذا هي من سفر ملاخيا: « هاءنذا مُرسل ملاكي امام وجهك ليُعدّ طريقك وللحال يأتي الربّ الاله ليخلّص شعب اسرائيل » ثمّ اشار باصبعه الى آية اخرى لاشعيا النبي حيث يقول : « صوتُ صارخٍ في البرّيّة أَعِدُّوا طريق الربّ » . فقرأ سمعان هاتين الآيتين ولم يدرك ما اراد بهما زكريّا فكتب لهُ على لوح : اتعرف من هو هذا الملاك ؟ ومن هو هذا الصوت ؟ فاجاب زكريّا وخطّ على اللوح : هو الابن الذي بشّرني بهِ الملاك يوم تراءى لي اذ كنتُ اخدم في الهيكل

فطرب سمعان لهذا الخبر وتحقّق انّ الحلم الذي رآهُ في نومهِ كان حقًّا وانّهُ لن يلبث ان يعاين خلاص اسرائيل بظهور المسيح . ثمّ اخذ الشيخان يؤدّيان لله الشكر على نعمهِ وقضيا ساعاتٍ في الصلاة وكلاهما صامت اللسان وانّما كان قلباهما يخفقان بوَجَبان التهلّل والسرور

* * *

ثمّ خرجا الى باحة الدار ليتنسّما الهواء العليل ويريحا صدريهما بتسريح النظر في عجائب الكون واذا بهما لمحا في بطن الوادي عن بُعد شخصَين سائرين الى جهة الدار . فبعد هنيهةٍ عرفا انهما امرأة راكبةٌ حمارًا ورجل يمشي امامها متوكّئًا على عصاه . فلمّا اقتربا عرفها زكريّا واشار الى قرينتهِ فخرجت وعرفت انّ المرأة الراكبة هي مريم ابنة يواكيم وحنّة وانّ الرجل هو يوسف خطيبها وقد اتيا الى زيارتهم

فدخلوا الدار ليستعدّوا لاستقبال الضيفين فأوت اليصابات الى خدرها وأعدّت مكانًا لمريم وبقي الشيخان على الباب فأسرعا واعانا الفتاة فنزلت ملتحفةً بازرها ثم عانقا يوسف واخذاهُ معهما الى غرفتهما ودخلت مريم الى مخدع اليصابات

فجرت حينئذٍ بين مريم واليصابات تلك المقابلة السرّيّة التي رواها لوقا في انجيلهِ اذ سلّمت مريم على نسيبتها ولدى سماع اليصابات صوتها ارتكض الجنين في احشائها ونطق لسانها بما اوحى اليها الروح القدس فعرفت ان مريم هي امّ

وبها وان في احشائها المسيح الاله فتغنّت مريم بنشيدها العجيب «فلتعظّم نفسي الله وتتهلّل روحي في الله مخلّصي» واقرّت بأن العليّ صنع فيها عجائب وان كلّ الشعوب ستطوّبها وانّما فعل الله معها ذلك برحمته ولتواضع أمته

وبينما كان هذا المحضر العجيب جارياً بين اليصابات ومريم لم يعايتهُ غيرهما وكان زكريّا وسمعان في حجرتهما يتحدّثان بيوسف فلم يطّلعا على اسرار الله بين المرأتين . وكان سمعان اذ رأى مريم أحسّ بأنها ليست كبقيّة النساء فكأنهُ عاين بها ملاكاً لا بشراً فاخذ يُلقي على يوسف اسئلة لعلّهُ يوقفهُ على سرّها المكتون فكان يوسف يجهل زيارة الملاك لها وحبلها من الروح القدس وانّما كان يطري فضلها وتقاها وحسن حظّه اذ جعلها الله نصيبهُ وهي لا تزال خطيبتهُ وانّما قرب اوان زواجهما

كانت تلك الليلة من اسعد الليالي في دار زكريّا قضاها الضيفان بالراحة والهناء واماّ سمعان فكان فكرهُ متّجهاً الى مريم وكأنهُ بسماعه لاسمها وبنظره للاحها تحقّق انها هي الصورة التي ظهرت لهُ ليلاً تراءى لهُ الملاك في حلمه

* * *

فقام من غدٍ ورجع الى اورشليم في ضحى النهار . وكان ذكر مريم يخالج فكره : أليست هذه هي التي تنبّأ عنها اشعيا وعنها سيلد المسيح مخلّص شعبنا اسرائيل ولكن قد اعلن اشعيا انّ والدة المسيح ستكون عذراء وهذه خطيبة يوسف وعمّا قليل سيقترن بها بالزواج فلا يصحّ عنها كلام النبي . ثمّ كيف يوسف خطيبها لم يعلم شيئاً من امرها . وزد على ذلك انّ احبار كهنتنا لم يطّلعوا على قرب ميلاد المسيح فلو عرفوا لاهتزّت اورشليم كلّها طرباً واستعدّت لمجيئه استعدادها لاجلّ الملوك واحبهم وبنو اسرائيل لا يحيون الّا بالامل لمشاهدته

تلك الافكار كانت تخطر على بال سمعان وهو لا يدري كيف يحلّ تلك المشاكل فبقي زمناً في قلقه يطلب الى الله بإلحاح ان يكشف لهُ تلك

الامور الغامضة . وهو كذلك اذ بلغهُ بعد ثلثة اشهر من زيارته لزكريَّا ما حدث في بيته من العجائب بميلاد ابنه يوحنَّا من امرأته العاقر وكيف حُلَّ لسانه عند مولده فكتب اليه يهنئهُ ويسألهُ ماذا يعلم عن مولد المسيح . فكان جواب زكريَّا طافحاً بالشكر لله الذي أنعم عليه بولده يوحنا مخبراً انَّ الروح القدس اوحى اليه بأنهُ سيكون هو الملاك المشار اليه بالنبيّ ليتقدَّم امام وجه المسيح ويُعدّ لهُ الطريق . أما متى واين وكيف يولد المسيح فانَّ الله لم يُبط لهُ الحجاب عن سرّه وانَّهُ يرى انَّ مريم خطيبة يوسف سيكون لها نصيبٌ كبير في هذه الاسرار

أفعم جواب زكريَّا قلب سمعان فرحاً إلَّا انهُ بقي في ريبه لا يعلم حلًّا لمشكله فأخذ يتلو صحائف اسفار الانبياء لعلهُ يستدلّ بها على الحقيقة فوجد في سفر ميخا انَّ المسيح يكون مولدهُ في بيت لحم يهوذا حيث قال : (٥:٢) « وانتِ يا بيت لحم افراتة الصغيرة في أُلوف يهوذا لانَّ منكِ سيخرج القائد الذي يحكم على شعبي اسرائيل »

فزادت هذه الآية ريبهُ وهو يعرف ان مريم ورجلها يوسف من الناصرة يسكنان هناك بعيداً عن بيت لحم فليست اذاً مريم هي امّ المسيح

قضى سمعان الأيام والاسابيع والاشهر وهذه الافكار تحاصرهُ وتشغل بالهُ ليلًا مع نهار . اذ صدر بامر اوغسطس قيصر امر لجميع العالم الروماني ان يُحصى عدد اهله وان يكون احصاء كلّ أسرة في موطنها الذي هي منهُ فتُضي على يوسف ان ينتقل مع مريم من الناصرة الى بيت لحم مدينة داود وهو من أُسرته وكان يوسف قبل هذا قد أطلعهُ ملاك الربّ على حبل مريم العجيب من الروح القدس . فوصل الى بيت لحم في اليوم الرابع والعشرين من شهر كانون الاوَّل : واذ لم يجد لهُ في البلدة منزلًا يحلُّ فيه أوى الى مغارة هناك كان يتردَّد اليها الرعاة في ايَّام الشتاء . فكانت تلك المغارة البلاط الذي اختارهُ ابن الله الكلمة الازليّ ليولد فيه بالجسد في الليلة التالية

وكان سمعان الشيخ في ذلك الوقت يشعر في نفسه بفرح عظيم وطمأنينة وسلام لم يذقهُ منذ زمن طويل فبادر الى الهيكل وانطرح أمام الستر الحاجب

القدس الاقداس مفيضاً قلبهُ قدام الله ذارفاً الدموع وهو يبتهل الى الله اسرائيل بان يُعلن لهُ سرَّ خلاص شعبهِ . قضى الساعات من ليلهِ ساهداً وكأنهُ سمع في سويداء قلبهِ صوتاً يقول لهُ : سُرَّ عنك يا سمعان فقد استجيبت صلاتك وعما قليل يأتيك نبأٌ يوقفك على ما تبتغي معرفتهُ

فقام عند الصباح وعاد الى بيتهِ واذا على بابهِ راعٍ كان سمعان وكل اليهِ بقطيع من الغنم خاصَّة الهيكل فكان وجههُ يطفح سروراً وكلُّ ملامحهِ تشير الى حادثٍ عجيب جرى لهُ . فما كاد يرى سمعان حتى جثا امامهُ صارخاً : سيّدي افرح وتهلّل أنّنا في هذه الليلة عاينّا مسيح الله . اذ كنتُ مع بعض رفقتي نرعى الغنم على رُبى بيت لحم ظهر لنا ملاك ملتحف بالنور سمعناهُ يقول : لا تخافوا اني ابشركم ببشرى عظيمة لكم ولسائر الشعب ها قد وُلد لكم مخلص وهذه هي علامتهُ تجدونهُ في مغارة مضجعاً في مذود ملفوفاً بالقماطات فاسجدوا لهُ . قال هذا واذا بجوق ملائكة مثله ظهروا في السماء وسمعناهم ينشدون : المجد لله في العُلى وعلى الارض السلام للذين فيهم المسرَّة . فأسرعنا وأخذنا بعض الهدايا لنقدّمها للمولود فوجدناهُ كما قيل لنا وليس حولهُ إلّا امّه وهي جاثية وعلى حيّاها سمة الطهر والجمال الفائق ويقربها كلٌّ يسعى في كل حاجات المولود . فتقدّمنا وسجدنا لذلك الطفل وفرحٌ سماويّ ملأ قلوبنا لاسيما اذ القى علينا بنظرهِ فقبّلنا القماطات التي تكسوه واعطينا ليوسف ما اتينا بهِ من هدايانا البسيطة

* * *

كان سمعان يسمع هذا الكلام وهو احلى لديهِ من شهد العسل نزل على قلبهِ نزول المطر على الارض العطشى والندى على النبات الذابل . فشكر الراعي وردّهُ الى غنمهِ وعاد هو الى الهيكل ليقدم لله آيات المنة والشكر على ما انعم عليهِ

بيد انَّ سمعان لم يرضَ بذلك وهمَّ ان يذهب الى بيت لحم ليسجد للاله المتأنس ليتمّ لهُ موعد الروح القدس بانهُ سيعاين مسيح الربّ . وكان

يستولي عليه العجب والاندهاش كيف بلغ الخبر غيرهُ من الكهنة والاعيان ببشارة الرعاة فلم يتحرَّك منهم احد لزيارة ذاك المولود واكرامه كما يستحق وكأنهم خجلوا من زيارة طفل صغير في مذود ليس لهُ شيء من رونق المجد وأبهة الملوك لم يعاين مولدهُ غير رُعاة فقراء فتغاضوا عن الامر ولم يكترثوا لهُ

أما سمعان فكانت هذه الاعتبارات لا تصل فيه بل تزيدهُ شوقاً الى نظر الطفل الالهيّ لكنَّهُ كان يشعر بانحطاط القوى وهو شيخ هرم يعجز عن قطع المسافة بين اورشليم وبيت لحم فجدَّد صلاتهُ الى الله بان لا يسمح له بتوديع الحياة قبل ان يرى منتظر الشعوب فسمع في قلبه صوتاً يقول لهُ: كن مطمئناً فستحظى عمَّا قليل بما يتوق اليه قلبك

فهدأ روعهُ لكنهُ كان يتلهَّف شوقاً ويتلهَّب لوعةً ليحصل على تلك النعمة ووجد في قلبهِ سلواناً وتعزية عن فتور الاحبار والكهنة لمَّا سمع بورود ثلثة من ملوك الشرق المجوس قدموا الى اورشليم وهم يطلبون اين مولد ملك اليهود ليسجدوا لهُ ويقدّموا لهُ هداياهم اذ انهم رأوا نجمهُ في الشرق فكان سمعان اوَّل ما أطلعهم على آية النبيّ ميخا وعن مولد المسيح في بيت لحم واعلن لهم انهُ لولا عجزهُ لتقدَّمهم فيدلَّهم على الطريق ويسجد معهم لذلك المولود الالهيّ لكنَّهُ حذَّرهم من دسائس هيرودس

بقي سمعان في خدمة الهيكل ملازماً الصلاة وهو يتقلَّب على احرّ من جمر القتاد ريثما يشاهد الطفل الالهي. فنال بغيتهُ في اليوم الاربعين لمولد المسيح ففي ذلك اليوم أتى يسوع مريم امَّهُ ويوسف ابوهُ بالذخيرة ليقدّماهُ للربّ على حسب شريعة موسى ويفتدياهُ بزوجي يمام فكان سمعان يراقب تلك الساعة فاشار اليه الروح القدس أنِ اقتربْ فهذا هو ابن الله الذي وُعدتَ بمشاهدتهِ

فكأنَّ هذا الخبر انعش قوى الشيخ فتقدَّم بكل نشاط واخذ الطفل من امّهِ وجعلهُ بين ذراعيه وقبَّلهُ بكل تلهُّف وانعطاف صارخاً: الآن ايها الربّ اطلق عبدك بسلام لانَّ عينيَّ رأتا خلاصك الذي هيَّأتهُ في وجه جميع الشعوب ليكون نوراً لجلاء الامم ومجداً لشعبك اسرائيل

قال هذا وخرَّ على قدميه ساجداً ثمَّ اعاد الطفل لامّهِ وكانت دموع الفرح

تسيل على خديه وتبلل لحيته فشعر ان الله استجاب دعاءه فما كاد يقوم حتى خارت قواه واسرع الحضور وحملوه الى غرفة قريبة واضجعوه على فراشه فرفع عينيه الى السماء قائلا : صدقت مواعيدك يا ربّ فالشكر كل الشكر لجودك ورحمتك فها انا بكل فرح ابارح الحياة مشمولاً بنعمة ابنك الالهي فتنزل نفسي الى مقرّ الآباء والقديسين فأخبرهم بمجيء منتظر الامم وبقرب فدائهم ودخولهم الى جنان الملكوت

وما تمّ هذا الكلام حتى اسلم الروح لخالقه

مؤتمر بال الصهيوني

بقلم حضرة الاب هنري لامنس اليسوعي

عُقد في مدينة بال من اعمال سويسرا في النصف الاول من شهر ايلول ١٩٢٧ المؤتمر الصهيوني الخامس عشر . وكانت غايته ان يحلّ الأزمة الاقتصادية التي تعرقل المؤسسات اليهودية في فلسطين ، وان يتمّ بايجاد عمل للثمانية آلاف عاطل الذين يضيقون على الطوارئ اليهودية الجديدة في ذلك القطر .

اما تلك الأزمة فقد نشأت بعد وصول العدد العديد من مهاجري اليهود الى فلسطين سنة ١٩٢٥ . فاهتم اليهود لذلك وبدأوا يشغلون اخوانهم باعمال البناء الى ان خفّت هذه الاشغال رويداً رويداً ، فتوقفت . وكان أن حدث كثير من الافلاسات فحُرم الوف العمال من الشغل واصبحوا عالة على المؤسسات اليهودية . ثم ازدوجت تلك الازمة الاقتصادية بازمة سياسية حصلت في داخل الصهيونية ، فزادت الحالة سوءاً .

وانه ليمكن الانسان ان يميّز بين اليهود الذين وافقوا على البرنامج الصهيوني ، حزبَ يمين وحزبَ يسار يفصلهما حزبُ وسط . اما حزب اليمين فيحوي اليهود الراشدين والمحافظين على التقاليد ؛ واما حزب اليسار فيؤلّف من